المملكة العربية السعودية
جامعة الرياض
Riyad University
RIYAD, SAUDI ARABIA
DEAN
UNIVERSITY LIBRARIES
عمادة شؤون المكتبات
No. ..... : الرقم Date ..... : التاريخ
مكتبة جامعة الرياض - قسم المخطوطات
الرقم ٤٠٨٤ ف ٨٤٦/٤
العنوان (كتاب) الأربعين في أصول الدين
المؤلف محمد بن محمد الغزالي
تاريخ النسخ القرن ٨ هـ
اسم الناسخ
عدد الأوراق ٣٧٧ × ٢٥
ملاحظات ١٩٩
ع ٢
Copyright © King Saud University

١٨٩
أ٠غ (كتاب) الاربعين في أصول الدين ، تأليف محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي (٤٥٠-٥٠٥هـ) . كتب في القرن الرابع عشر الهجري تقديرا .

١٠ ق ٢١ س ٢٥×١٧ سم

٤٠٨٤ نسخة حسنة ، خطها نسخ معتاد ، ناقصة الأول والآخر .

الأعلام ٧ : ٢٤٧

١- الفلسفة الإسلامية في العصور الوسطى

أ- الغزالي ، محمد بن محمد -٥٠٥هـ

ب- تاريخ النسخ .

Copyright © King Saud University

المكتبة المركزية - قسم المخطوطات

٧/

سنة مثلا بالاضافة الى بقية العمر وجملة عمرك بالاضافة الى الابد اقل من سنة
بالاضافة الى عمرك بل الاضافة بينهما الى بقائك في الاخرة فتفكر فيه
ليتكشف لك جهلك على القرب ولعلك تقول انما افعل ذلك على توقع العفو
فانه رحيم كريم فاقول ولم لا تترك الحراثة والتجارة وطلب المال على توقع
العثور على وجدان كنز في خراب فان الله تعالى كريم ولا ينقص من
ملكه شيء لو عرفك في منامك كنزا من الكنوز حتى تاخذه فان قلت
ذلك نادر وان كان داخلا في قدرة الله تعالى فاعلم ان توقع العفو
مع خراب الاعمال والاخلاق كتوقع كنز في الخراب بل ابعد منه واندر
وقد نبهك الله تعالى فقال وان ليس للانسان الا ما سعى وقال تعالى
ام نجعل الذين امنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض ورغبك
عن طلب المال فقال الله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها
فما بالك تكذب بكرمه في الدنيا ولا تتكل عليه ثم تخدع نفسك بالكرم
في الاخرة وانت تعلم ان رب الدنيا والاخرة واحد فصل لعلك تقول
عوائب الدنيا قد انكشف لي بالعيان واطمأنت اليها قلبي واما امر الاخرة
فلم اشاهده ولست احد التصديق الحقيقي في قلبي به فلذلك فترت
رغبتي في ترك الدنيا نقدا بما هو موعود نسيئة ولست الف به فاقول
لو كنت من ارباب البصائر لانكشف لك امر الاخرة صريحا كما انكشف
لك امر الدنيا واذ لم تكن من اهله فتفكر في اقاويل ارباب البصائر فان
الناس في امر الاخرة اربعة اصناف صنف اثبتوا الجنة والنار كما جاء
به القرآن وقد سمعت انواع نعيمها وانكال جحيمها وصنف لم يثبتوا
اللذات والالام الحسية بل اثبتوها على سبيل التخيل كما في المنام حتى

Copyright © King Saud University

يكون كل واحد في جنة او نار يراها وحده وزعموا ان تاثير ذلك فيه
كتاثير الحقيقة لان تالم النائم كتالم اليقظان وانما يخلصه عنه التنبه
وذلك في الاخرة دائم لا انقطاع له وصنف ثالث اثبتوا الامور عقلية ولذات
عقلية وذكروا ان ذلك اعظم من الحسية ومثلوا ذلك باستشعار لذت
الملك واستشعار زوالها فان زوال الملك يؤثر الاما كثيرة بدنية على ان
لا يظفر به عدوه ويأخذ مملكته ويستخرج مع ان ظفر العدو لا يؤلم
البدن وهؤلاء هم اصناف النصارى الثلاثة وفيهم الانبياء والاولياء
والحكماء وكلهم اتفقوا على اثبات سعادة مؤبدة وشقاوة مؤبدة وان
السعادة لا تنال الا بترك الدنيا والاقبال على الله تعالى ولو مرضت
ولم تكن من اهل البصيرة في الطب ورايت افاضل الاطباء اتفقوا على شيء
لم تتوقف في اتباعهم فما بالك تتوقف في اتباع هؤلاء وصنف
رابع ليس من النظار في الامور الالهية بل من الاطباء والمنجمين اقتصر نظرهم
على الطبايع الاربع ومزاجها وراوا قوام الروح موقوفا عليها
ولم يتفطنوا لحقيقة الروح الالهي الحقيقي الذي هو العارف بالله تعالى
بل لم يدركوا الا الروح الجسماني الذي هو بخار اللطيف حرارة القلب
ينتشر في العروق الضوارب الى جميع البدن ويقوم به الحس
والحركة وهو الروح التي توجد للبهايم ايضا فاما الروح الخالص
الانساني المنسوب الى الله تعالى حيث قال ونفخت فيه من روحي فلم
يتفطنوا له فظنوا ان الموت عدم محض وانه يرجع الى فساد المزاج
فانت في حق هؤلاء بين امرين اما ان تجوز غلطهم او تعلم قطعا
صحة قولهم فان جوزت خطاهم لزمك الاعراض عن الدنيا بمجرد

الاحتمال فانك لو كنت صادق الجوع وظفرت بطعام وهممت
باكله فاخبرك صبي ان فيه سما او ان حية ولغت فيه فاسيت الجوع
وتركت الاكل لانك تقول وان كان كاذبا فليس يفوتني الا لذة
الاكل وان كان صادقا ففيه الهلاك ومثل هذا الاحتمال لا يمكن
الهجوم عليه فليت شعري مع احتمال الخلود في النار كيف يستجري
العاقل الهجوم عليه وكيف لا يكون اليقين التام في الحذر منه حتى تنبه
الشاعر لدمع ركاكة عقله فقال زعم المنجم والطبيب كلاهما لا يحشر الاموات
قلت اليكما ان صح قولكما فلست بخاسر او صح قولي فالخسار عليكما
وان قلت اني اعلم ضرورة صدق هؤلاء وان الموت عدم وانه لا عقاب
ولا ثواب وان الانبياء والاولياء كلهم مغرورون او ملبسون وانما
الذي انكشف لحقيقة الحق هذا الطبيب الجاهل وزعمت اني اعلم
ذلك كما اعلم ان الاثنين اكثر من الواحد حتى لا يجال فيه ريب
فيدل هذا على فساد المزاج وركاكة العقل والبعد عن قبول العلاج
ولكن مع هذا يقال لك ان كنت تطلب الراحة في الدنيا فقط بمقتضى ذلك
عقلك ايضا مجاهدة الشهوات وكسرها فان الراحة في الحرية والخلاص
عن اسر الشهوات الا في اتباعها فانها اذا تسلطت على النفس فهي المر
ناجز يحمل النفس الى احتمال كل ذل ومشقة وما المستريح في الدنيا الا تارك
والزاهد فيها اما طالبها فلا يزال منها في عنا فالمعطل ايضا ان عقل
قليلا بترك الدنيا لكثرة عنائها وسرعة فنائها وخسة شركائها فان
لم تكن في امر الاخرة على تحقيق ولا من مشاهدة افان الدنيا على يقين
فانت الامن الحمقى المغرورين ولتعلمن نبأه بعد حين ولمثلك يقال

ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون القسم الرابع
في الاخلاق المحمودة وهي عشرة اصول الاصل الاول التوبة فانها مبدأ
طريق السالكين ومفتاح سعادة المريدين قال الله تعالى ان الله يحب
التوابين ويحب المتطهرين وقال وتوبوا الى الله جميعا وقال صلى الله
عليه وسلم التائب حبيب الله والتائب من الذنب كمن لا ذنب له وقال
صلى الله عليه وسلم لله افرح بتوبة عبده المؤمن من رجل نزل في ارض
دوية مهلكة معه راحلته وعليها طعامه وشرابه فوضع راسه
فنام فاستيقظ وقد ذهبت راحلته فطلبها حتى اشتد عليه الحر
والعطش او ما شاء الله عز وجل قال ارجع الى مكاني الذي كنت فيه
فانام حتى اموت فوضع راسه على ساعده ليموت فاستيقظ فاذا راحلته
عنده عليها زاده وشرابه فالله اشد فرحا بتوبة عبده المؤمن من هذا
براحلته فصل حقيقة التوبة الرجوع عن طريق البعد الى طريق
القرب ولكن لها اركن ومبدا وكمال اما مبداها فهو الايمان بالله ومعناه
سطوع نور المعرفة على القلب حتى يتضح فيه ان الذنوب سموم مهلكة
فيشتعل فيه نار الخوف والندم وينبعث من هذه النار صدق الرغبة
في التلافي والحذر بالفعل اما في الحال فبترك الذنوب واما في الاستقبال
فبالعزم على الترك واما في الماضي فالتلافي على حسب الامكان وبذلك
يحصل الكمال فصل اذا عرفت حقيقة التوبة انكشف لك انها واجبة
على كل واحد وفي كل حال ولذلك قال الله تعالى وتوبوا الى الله جميعا
مخاطب الجميع مطلقا اما وجوبها فلان معناها معرفة كون الذنوب
مهلكة والانبعاث لتركها واجد هو جزء من الايمان اعني هذه المعرفة

فيكون

فيكف لا يجب واما وجوبها على كل احد فهو ان الانسان من صفات بهيمية
وسبعية وشيطانية وربوبية حتى يصدر من البهيمية الشهوة والشره
والفجور ومن السبعية الغضب والحسد والعداوة والبغضاء ومن
الشيطانية المكر والحيلة والخداع ومن الربوبية الكبر والعز وحب المدح
والاستيلاء فاصول هذه الاخلاق هذه الاربعة وقد عجنت في طينة
الانسان عجنا محكما لا يكاد يتخلص منها وانما ينجو من ظلماتها بنور
الايمان المستفاد من العقل والشرع واول ما يخلق في الادمي البهيمية
فيغلب عليه الشهوة والشره والفجور في الصبي ثم يخلق فيه السبعية
فيغلب عليه المعاداة والمنافسة ثم يخلق فيه الشيطانية فيغلب عليه
المكر والخداع اذ تدعوه السبعية والبهيمية الى ان يستعمل كياسته في حيل
قضاء الشهوة وتنفيذ الغضب ثم يظهر فيه بعد ذلك صفات الربوبية
وهو الكبر والاستيلاء وطلب العلو ثم بعد ذلك يخلق فيه العقل الذي
فيه مظهر نور الايمان وهو من حزب الله تعالى وجنوده الملائكة
وتلك الصفات الاول من جنود الشيطان وجنود العقل تكمل عند
الاربعين ويبدو اصله عند البلوغ واما سائر جنود الشيطان تكون
قد سبقت الى القلب قبل البلوغ واستولت عليه والفته النفس واسترسلت
في الشهوات متابعة لها الى ان يرد نور العقل فيقوم القتال والتطارد
بينهما في معركة القلب فان ضعف حزب العقل ونور الايمان لم يقو
على ارعاج جنود الشيطان فتبقى جنود الشيطان مستقرة اخرا كما
سبق الى النزول اولا وقد تسلم للشيطان مملكة القلب وهذا القتال
ضروري في فطرة الادمي اذ لا تتسع خلقة الولد الا لما تتسع له

Copyright © King Saud University

المكتبة المركزية - قسم المخطوطات

خلفة الاب وانما تجلى حال ادم صلوات الله عليه وعلى نبينا وسلم لبنيه
به ان ذلك كان مكتوبا عليه وهو مكتوب على جميع اولاده في القضاء
الازلي الذي لا يقبل التبديل فاذا لا يستغني احد عن التوبة فصل
واما وجوبها في كل حال فلان الانسان لا يخلو في جميع احواله عن ذنب
في جوارحه او في قلبه ولا يخلو عن خلق من الاخلاق الذميمة مما يجب
تزكية القلب عنه فانه مبعد عن الله تعالى والاشتغال بازالته توبة
لانه رجوع عن طريق البعد الى طريق القرب فان خلا عن جميع ذلك
فلا يخلو عن غفلة عن الله تعالى وذلك ايضا طريق البعد ويلزمه
الرجوع عنه بالذكر ولذلك قال الله تعالى واذكر ربك اذا نسيت وان
كان حاضرا على الدوام وانى يتصور ذلك فلا يخلو عن ملازمة مقام نازل
عن المقامات الرفيعة ورآءه وعليه ان يترقى منه الى ما فوقه ومهما ترقى
منه استغفر عن مقامه الذي خلفه لانه يقصر بالاضافة الى ما ادركه
وذلك لا نهاية له ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم انه ليغان على
قلبي حتى استغفر الله تعالى في اليوم والليلة سبعين مرة وكل ذلك كان
توبة منه الا ان توبة العوام من الذنوب الظاهرة وتوبة الصالحين
عن الاخلاق الذميمة الباطنة وتوبة المتقين عن مواضع الريبة وتوبة
المحبين عن الغفلة المنسية للذكر وتوبة العارفين عن الوقوف على مقام
يتصورا ن يكون وراءه مقام والمقامات في القرب من الله تعالى لا نهاية
لها فتوبة العارف لا نهاية لها ايضا فصل التوبة اذا استجمعت شرائطها
فهي مقبولة لا محالة ولا يخفى عليك ذلك ان فهمت معنى القبول ومعنى
القبول ان يحصل في قلبك استعداد القبول لتجلي انوار المعرفة في قلبك

وانما

واما قلبك كالمرآة يحجبه عن التجلي كدورات الشهوات والرغبة فيها وترتفع
من كل ذنب ظلمة اليه ومن كل حسنة نور اليه فالحسنات تصقيل للقلب ولذلك
قال صلى الله عليه وسلم اتبع السيئة الحسنة تمحها ونسبة التوبة الى القلب
نسبة الصابون الى الثوب ولا بد ان يزول منه الوسخ اذا استعمل فيه
على وجهه ومن تاب فانما يشك في قبول التوبة لانه ليس يتيقن حصول
تمام شروطها كما ان من شرب المسهل لا يتيقن حصول الاسهال به لانه
لا بد من وجود تمام شروط ادويتها ولو تصور ان يعلم ذلك لتصور
ان يعلم القبول في حق الشخص المعين ولكن هذا الشك في الاعيان
لا يشككنا في ان التوبة في نفسها طريق القبول لا محالة فصل
علاج التوبة حل عقدة الاصرار فانه لا مانع منها سوى الاصرار ولا حامل
عليه سوا الغفلة والشهوة وذلك مرض في القلب وعلاجه كعلاج امراض
البدن لكن هذا المرض اكبر من مرض الابدان لثلاثة اسباب احدها انه مرض
لا يعرف صاحبه انه مريض وهو كمرض على وجه من لا مرآة له فانه لا يعالجه
لانه لا يعرفه ولو اخبره غيره ربما لم يصدقه والثاني ان عاقبة هذا المرض
لم يشاهدها الانسان ولم يجربها فلذلك تراه يتكل على عفو الله تعالى
ويجتهد في علاج مرض البدن كل جهد والثالث وهو الداء العضال
فقد الاطباء فان الطبيب هو العالم العامل وقد مرض العلما وهذه
الاعصار مرضا عسر عليهم علاج انفسهم لان الداء المهلك هو حب
الدنيا وقد غلب ذلك على العلما فاضطروا الى الكف عن تحذير الخلق
عن الدنيا كي لا تنكشف فضيحتهم فاصطلحوا كيلا يفتضحوا فافتضحوا
لما اصطلحوا على الاقبال على الدنيا والتجاذب لها والتكالب عليها

Copyright © King Saud University

فلهذا السبب عم الداء وانقطع الدواء واشتغل الاطباء بفنون الاعواء فليتهم اذ لم يصلحوا لم يفسدوا وليتهم سكتوا وما نطقوا بل صار كل واحد كانه صخرة في فم الوادي لا هي تشرب الماء ولا تترك الماء ليشرب به غيرها وجملة القول في علاجه ان تنظر في سبب الاصرار فهو يرجع الى خمسة اسباب اولها ان العقاب الموعود ليس بنقد والطبع يستهين بما لا يوجد محققا في الحال وعلاجه ان تتفكر لتعلم انما هو آت قريب وان البعيد ما ليس بآت وان الموت اقرب الى كل واحد من شراك نعله فما يدريه لعله في اخر ايامه او في اخر سنة من عمره ثم يتفكر كيف يتعب في الاسفار ويركب الاخطار خوفا من الفقر في الاستقبال الثاني ان اللذات والشهوات اخذت بمخنقه في الحال فليس يقدر على قلعها وعلاجه ان يتفكر انه لو ذكر له طبيب نصراني بان شرب الماء البارد يضره ويسوقه الى الموت وهو الذ الاشياء عنده كيف يتركه فليعلم ان الله ورسوله اصدق من الطبيب والخلود في النار اشد من الموت والمرض وليقرر على نفسه انه كما اذا كان يشق عليه ترك اللذات اياما قلائل فكيف لا يشق عليه ملابسة النار والحرمان عن الفردوس الاعلى ونعيمه ابد الدهر الثالث انه يسوف بالتوبة يوما فيوما وعلاجه ان يتفكر ويعلم ان بناء خطر السعادة والشقاوة على ما ليس اليه جهل فمن اين يعلم انه يبقى الى ان يتوب وان اكثر صياح اهل النار من التسويف لانهم سوفوا حتى جاءهم المرض فساقهم الى الموت كيف واني يسوف لانه يعجز عن قمع الشهوات في الحال فانه ان كان ينتظر يوما يسهل عليه فيه قمع الشهوات فهذا اليوم لم يخلق اصلا بل مثاله مثال من امر بقلع شجرة فعجز عنها لضعفه وقوة رسوخ الشجرة فيؤخر الى السنة

القابلة وهو يعلم ان الشجرة كل يوم تزداد رسوخا وقوة وتزداد كل يوم ضعفا وقصورا ونقصانا وذلك غاية الجهل الرابع ان يعد نفسه بالعفو والكرم وذلك غاية الحمق ابرزه الشيطان في معرض الدين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله عز وجل الاماني الخامس ان يكون والعياذ بالله عز وجل شاكا في امر الاخرة وقد ذكرنا علاجه في خاتمة الاخلاق الذميمة فصل التوبة عن الذنوب كلها مهمة واجبة وعن الكبائر اهم والاصرار على الصغائر ايضا كبيرة فلا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة مع رجوع واستغفار وتواتر الصغائر عظيم في التأثير في تسويد القلب وهو كتواتر قطرات الماء على حجر فانه يحدث فيها حفرة لا محالة مع لين الماء وصلابة الحجر وتعظم الصغيرة باسباب احدها ان يستصغرها العبد ويستهين بها فلا يغتم لسببها قال بعضهم الذنب الذي لا يغفر قول العبد ليت كل شيء عملته مثل هذا الثاني السرور بها والتبجح بسببها واعتقاد التمكن منها نعمة حتى ان المذنب ليفتخر فيقول امارأيتني كيف شفيته وكيف مزقت عرضه وكيف خدعته في المعاملة وذلك عظيم التاثير في تسويد القلب الثالث ان يتهاون بستر الله تعالى عليه ويظن ان ذلك لكرامته عند الله تعالى ولا يدري انه ممقوت وقد امهل ليزداد اثما فيكون في الدرك الاسفل من النار الرابع ان يجاهر بالذنب ويظهره او يذكره بعد فعله وفي الخبر كل الناس معافى الا المجاهرين الخامس ان تصدر الصغيرة من عالم يقتدى به فذلك عظيم لانه يبقى بعد موته وطوبى لمن مات وماتت

Copyright © King Saud University

معه ذنوبه و من سن سنة سيئة فعليه وزرها و وزر من عمل بها الى يوم
القيمة و روي ان بعض علماء بني اسرائيل تاب عن ذنوبه و بدعته فاوحى
الله تعالى الى نبي زمانه ان ذنبك لو كان فيما بينك و بيني لغفرته لك ولكن
كيف من اظللت من عبادي فادخلتهم النار وعلى الجملة فلا باعث على
التوبة الا الخوف الصادر عن البصيرة و المعرفة فلنذكر فضيلة
الخوف الاصل الثاني الخوف و قد جمع الله تعالى للخائفين الهدى والرحمة
والعلم والرضوان وناهيك به فضلا وقال هدى ورحمة للذين هم
لربهم يرهبون وقال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وقال تعالى
رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه و قال صلى الله عليه
وسلم رأس الحكمة مخافة الله و قال من خاف الله خافه كل شيء ومن
خاف غير الله خوفه الله من كل شيء و قال صلى الله عليه وسلم قال الله
تعالى وعزتي وجلالي لا اجمع على عبدي خوفين ولا اجمع له امنين
فاذا امنني في الدنيا اخفته يوم القيمة واذا خافني في الدنيا امنته
يوم القيمة فصل اعلم ان حقيقة الخوف هو تالم القلب واحتراقه
بسبب توقع مكروه في الاستقبال لا وقد يكون ذلك الخوف من جريان
الذنوب و قد يكون الخوف من الله تعالى لمعرفة صفاته التي توجب
الخوف لا محالة وهذا اكمل واتم لان من عرف الله تعالى خافه بالضرورة
ولذلك قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وقد اوحى الله
تعالى الى داود عليه السلام يا داود خفني كما تخاف السبع الضاري
ولذلك قال صلى الله عليه وسلم انا احوفكم لله تعالى واعلم
ان الواقع في مخالب السبع انما لا يخافه اذا لم يعرف السبع فان علم

ان

ان من صفة السبع انه يهلكه ولا يبالي به و ان تركه لم يكن لرقته عليه
وشفقته وانه احقر عنده من ان يشفق عليه فلا بد ان يخاف ويله المثل
الاعلى ولكن من عرف انه لو اهلك العالمين لم يبال ولم ينقص شيئا من مملكته
قل فمن يملك من الله شيئا ان اراد ان يهلك المسيح بن مريم وامه ومن
في الارض جميعا ولكم اهلك من عباده في الدنيا وعرضهم لانواع العذاب
ولم ياخذه رقة وشفقة فان ذلك محال عليه فلا بد وان يخاف فان معرفة
الجلال والعزة والاستغناء توريث الهيبة بالضرورة وهذا كل انواع
الخوف و افضلها فصل علاج الخوف و تحصيله على رتبتين احدهما معرفة
الله تعالى فانها توجب الخوف بالضرورة فان الواقع في مخالب السبع
لا يحتاج الى علاج ليخاف ان كان يعرف السبع ومن عرف جلال الله واستغناءه
وانه خلق الجنة وخلق لها اهلا وخلق النار وخلق لها اهلا وانه تمت
كلمته بالسعادة والشقاوة في حق كل احد صدقا وعدلا وان ذلك
لا يتصور لغيره ولا يصرفه عن تنفيذ قضائه الازلي صارف وهو
لا يدري ما الذي سبق به القضاء في حقه ولا يدري ما الذي يختم له به
واحتمل عنده ان يكون مقضيا له بشقاوة الابد فهذا لا يتصور
ان لا يخاف اما من عجز عن حقيقة المعرفة فعلاجه النظر الى الخائفين
ومشاهدة احوالهم او لسماع ذلك فان اخوف الخلق لله الانبياء والاولياء
والعلماء واهل البصيرة و اعظم الخلق امنا الغافلون الاغبياء الذين
لا يمتد نظرهم لا الى السابقة ولا الى الخاتمة ولا الى معرفة جلال الله
تعالى وهذا كما ان الصبي لا يخاف الحية مالم ينظر الى ابيه يخافها
ويهرب منها وتر بقدر انصه اذا راها فينظر اليه فيقلده ويستشعر

Copyright © King Saud University

المكتبة المركزية - قسم المخطوطات

خوفه وان لم يعرف بالحقيقة صفة الجنة وقد قال صلى الله عليه وسلم
ما جائني قط جبريل الا وهو يرتعد فرقا من النار وقيل لما ظهر على ابليس
ما ظهر عليه طفق جبريل وميكائيل عليهما السلام يبكيان فاوحى الله تعالى
اليهما ما لكما تبكيان قالا يا ربنا ما نأمن من مكرك فقال الله تعالى هكذا كونا
تأمنا مكري فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون وقيل لما خلق الله
تعالى النار طارت افئدة الملائكة من امكانها فلما خلق بنو ادم عادت
وكان ازيز قلب ابراهيم عليه السلام يسمع في الصلاة من مسيرة ميل
وبقي داود عليه السلام اربعين يوما ساجدا لا يرفع رأسه حتى
نبت المرعى من دموعه وقال الصديق لطائر يا ليتني مثلك يا طائر
ولم اخلق وقال ابو ذر وددت اني شجرة تعضد وقالت عائشة
وددت اني كنت نسيا منسيا وقد حكينا احوال الخائفين في كتاب
الخوف والرجا من كتب احياء علوم الدين فليتامل القاصر عن ذروة
المعرفة احوال الانبياء والاولياء والعارفين وليعلم انه احق بالخوف
منهم واذا تامل ذلك بالحقيقة غلب عليه خوفه **فصل** الخوف
سوط يسوق العبد الى السعادة ولا ينبغي ان يفرط بحيث يورث
القنوط فذلك مذموم فينبغي ان يمزج الرجا به نعم ينبغي ان اذا غلب
يغلب الخوف الرجا ما دام العبد مقارنا للذنوب فاما المطيع المتجرد
لله تعالى فينبغي ان يعتدل خوفه ورجاؤه مثل عمر رضي الله
عنه حيث قال لو نودي ليدخلن الجنة جميع الخلق الا رجل واحد
لخفت ان اكون ذلك الرجل ولو نودي ليدخلن النار جميع الخلق
الا رجل واحد لرجوت ان اكون ذلك الرجل واما اذا قارب الموت

فالرجا

فالرجا وحسن الظن بربه ينبغي ان يغلب قال صلى الله عليه وسلم
لا يموتن احدكم الا وهو يحسن الظن بربه والرجا يخالف التمني فان من
لا يتعهد الارض ولا يبث البذر ثم ينتظر الزرع فهو متمن مغرور وليس
براج واما الراجي من تعهد الارض وسقاها وبث البذر وحصل كل سبب
يتعلق باختياره ثم بقي يرجو ان يدفع الله الصواعق والقواطع وان
يمكنه من الحصاد بعد الانبات ولذلك قال الله تعالى ان الذين امنوا
والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله
وعلى الجملة فثمرة الرجا الترغيب في الطلب وثمرة الخوف الترغيب في الهرب
ومن رجا شيأ طلبه ومن خاف شيأ هرب منه واقل درجات الخوف
ما يحمل على ترك الذنوب والاعراض عن الدنيا وما لا يحمل على ذلك فهو
حديث نفس وخواطر لا وزن لها يشبه رقة النسا ولا ثمرة لها بل الخوف
اذا تم اثمر الزهد في الدنيا فلنذكر الزهد ومعناه **الاصل الثالث في الزهد** بلغ
وقد قال الله تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة
الحيوة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وابقى وقال تعالى من
كان يريد حرث الاخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته
منها وما له في الاخرة من نصيب وقال تعالى في حق قارون فخرج على
قومه في زينته قال الذين يريدون الحيوة الدنيا يا ليت لنا مثل ما اوتي
قارون انه لذو حظ عظيم وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب
الله خير لمن امن وعمل صالحا فتبين ان الزهد من ثمرات العلم وقال
صلى الله عليه وسلم من اصبح وهمته الدنيا شتت الله عليه امره وفرق
عليه ضيعته وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا الا ما كتب له

Copyright © King Saud University

ومن اصبح وهمه الاخرة جمع الله همه وحفظ عليه ضيعته وجعل
غناه في قلبه واتته الدنيا وهي راغمة ولما سئل رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن قوله تعالى فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام
وعن معنى الشرح فقال ان النور اذا دخل القلب انشرح الصدر وانفسح
قيل وهل لذلك من علامة قال نعم التجافي عن دار الغرور والانابة
الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله وقال صلى الله عليه
وسلم استحيوا من الله حق الحياء قيل انا نستحي قال ليس ذلك
وتجمعون ما لا تأكلون وتأملون ما لا تدركون وقال من زهد في الدنيا
ادخل الله تعالى الحكمة في قلبه وانطلق بها لسانه وعرفه داء الدنيا
ودواها واخرجه منها سالما الى دار السلام وقال لا يستكمل العبد حقيقة
الايمان حتى يكون ان لا يعرف احب اليه من ان يعرف وحتى يكون قلة
الشيء احب اليه من كثرته وقال اذا اراد الله بعبد خيرا زهده في الدنيا
ورغبه في الاخرة وبصره بعيوب نفسه وقال ازهد في الدنيا يحبك
الله وازهد فيما في ايدي الناس يحبك الناس وقال من اراد ان يؤتيه
الله علما بغير تعلم وهدى بغير هداية فليزهد في الدنيا فصل
الزهد حقيقة واصل وثمرة اما حقيقته فهو عزوف النفس عن الدنيا
وانزواؤها عنها طوعا مع القدرة عليها واصلها العلم وهو النور
الذي يقذف في القلب حتى ينشرح به الصدر ويتضح فيه ان الاخرة
خير وابقى وان نسبة الدنيا الى الاخرة اقل من نسبة خزفة الى جوهرة
وثمرته القناعة من الدنيا بقدر الضرورة وهو قدر زاد الراكب
والاصل نور المعرفة وثمر حال الانزواء يظهر على الجوارح بالكف

الاعن قدر الضرورة في زاد الطريق والضرر من زاد الطريف مسكن
وملبس ومطعم واثاث اما المطعم فله طول وعرض وجنس اما طوله فبالاضافة
الى الزمان واقصى درجاته الاقتصار على دفع الجوع في الحال فاذا دفعه
عدوة لم يدخر شيأ لعشائه واوسطه ان يدخر لشهر الى اربعين يوما فقط
واداناه ان يدخر لسنة فان جاوز ذلك خرج عن جميع ابواب الزهد الا ان لا
يكون كسب ولا يأخذ من الايدي كداود الطائي فانه ملك عشرين دينارا
فامسكها وقنع بها عشرين سنة فذلك لا يبطل مقام الزهد ودرجته
في الاخرة الا عند من شرط التوكل في الزهد واما عرضه فاقله نصف رطل
واوسطه رطل واعلاه مد والزيادة عليه تبطل الزهد واما الجنس فاقله
ما يقوت ولو النخالة واوسطه خبز الشعير واعلاه خبز البر غير منخول
فان نخل فهو تنعم لا زهد واما الادام فاقله الخل والملح والبقل واوسطه
الادهان واعلاه اللحم وذلك في الاسبوع مرة او مرتين فان دام لم يكن
صاحبه زاهدا قالت عائشة رضي الله عنها كان يأتي اربعون ليلة وما يوقد
في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مصباح ولا نار وقيل ما شبع رسول
الله صلى الله عليه وسلم منذ قدم المدينة ثلاثة ايام من خبز البر واما
الملبس فاقله ما يستر العورة ويدفع الحر والبرد واعلاه قميص وسراويل
ومنديل من الخشن ويكون بحيث لو غسل ثوبه لم يجد غيره فان كان صاحب
قصعين لم يكن زاهدا قال ابو ذر اخرجت لعائشة كساء ملبدا وازارا
غليظا فقالت قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذين وصلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم في خميصة لها علم فلما سلم قال شغلني نظري الى هذه اذهبوا
بها الى ابي جهم الحديث وكان شراك نعله قد خلق فابدل بسير جديد فلما

copyright © King Saud University

سلم عن صلاته قال اعبد والشراك الخلق فاني نظرت اليه في الصلاة
وكان قد احتذى نعلين جديدين فأعجبه حسنهما فخر ساجدا وقال اعجبني حسنهما
فتواضعت لربي خشية ان يمقتني ثم خرج فدفعهما الى اول مسكين راه وقد عد
على قميص عمر رضي الله عنه في خلافته اثنا عشر رقعة بعضها من ادم
واشترى علي رضي الله عنه في خلافته ثوبا بثلاثة دراهم وقطع كميه
من الرسغين وقال الحمد لله الذي هذا من رياشه وقال بعضهم قومت
ثوب سفيان وغلبه بدهم واربعة دوانق وقال علي رضي الله عنه
ان الله عز وجل اخذ على ائمة الهدى ان يكونوا في مثل ادنى احوال الناس ليقتدي
بهم الغني ولا يزدري بالفقير فقره واما المسكن فأدناه ان يقنع بزاوية
في مسجد او رباط لكأهل الصفة واعلاه ان يطلب لنفسه موضعا خاصا
وهي حجرة اما بشراء او اجارة بشرط ان لا يزيد سقفها على قدر الحاجة
ولا يرفع بناها ولا يهتم بتجصيصها وفي الاثر ان من رفع بناءه فوق
ستة اذرع ناداه مناد من السماء الى اين يا افسق الفاسقين ومات
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة
على قصبة وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما مر بنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم ونحن نعالج خصا فقال ان الامر اعجل من ذلك واتخذ نوح
عليه السلام بيتا من خوص فقيل له لو بنيت فقال هذا اكثر لمن يموت
وقال صلى الله عليه وسلم من بنى فوق ما يكفيه كلف ان يحمله
يوم القيمة وقال عليه السلام كل بناء وبال على صاحبه يوم القيمة
الا ما اكن من حر او برد واما اثاث البيت ففيه ايضا درجات وادناها
حال عيسى عليه السلام اذ لم يكن معه الا منطه وكوز فرأى انسانا

يمشط

يمشط باصابعه فرمى المشط وراى آخر يشرب بيده فرمى الكوز واوسطه
ان يستعمل من جنس الخشب واحدى في كل غرض ~~منه~~ ويجتهد ان يستعمل
واحدا في اغراض متعددة قال عمر لعمير بن سعيد وهو امير حمص ما معك
من الدنيا قال معي عصاي اتوكأ عليها واقتل بها حية ان لقيتها ومعي جرابي
احمل فيه طعامي ومعي قصعتي آكل فيها واغسل رأسي فيها وثوبي ومعي
مطهرتي احمل فيها شرابي ووضوئي فما كان بعدها من الدنيا فهو تبع
لما معي فقال صدقت وقال الحسن ادركت سبعين من الاخيار ما لاحدهم
الا ثوبه وما وضع احدهم بينه وبين الارض ثوبا وكان فراش رسول الله
صلى الله عليه وسلم الذي ينام عليه وسادة من ادم حشوها ليف
وعباءة حشنة وهذه سيرة الزهاد في الدنيا فمن حرم هذه الرتبة
فلا اقل من ان يتحسر على فواتها ويجتهد في ان يكون قربه منها اكثر
من قربه من المتنعمين في الدنيا فضل الزهد على درجات احدها
ان يزهد ونفسه مائلة الى الدنيا ولكن يجاهدها فهذا متزهد وليس
بزاهد ولكن بداية الزهد الثانية ان تنفر نفسه عن الدنيا
ولا يميل اليها لعلمه بأن الجمع بينها وبين نعيم الاخرة غير ممكن فتسمح
نفسه بتركها كما تسمح نفس من يبذل درهما ليشتري جوهرة وان كان
الدرهم محبوبا عنده وهذا زاهد الثالثة ان لا تميل نفسه الى الدنيا
ولا تنفر عنها بل يكون وجودها وعدمها عنده بمثابة واحدة ويكون
المال عنده كالماء وخزانة الله تعالى كالبحر فلا يلتفت قلبه اليه رغبة
ونفورا وهذا هو الاكمل لان الذي يبغض شيئا فهو مشغول به كالذي
يحبه ولذلك لما ذمت الدنيا عند رابعة العدوية فقالت لولا قدرها

في قلوبكم لما ذممتموها وحمل الى عائشة رضي الله عنها مائة الف درهم
فلم تنفرغ عنها ولكن فرقتها في يومها فقالت خادمتها لو اشتريت بدرهم
لحما تفطرين عليه فقالت لو ذكرتيني لفعلت فهذا هو الغنى وهو اكمل
الزهد ولكنه مظنة غرور الحمقى اذ مغرور يستشعر في نفسه ان لا علاقة
لقلبه مع الدنيا وعلامة ذلك ان لا يدرك الفرق بين ان يسرق
جميع ماله او يسرق مال غيره فما دام يدرك التفرقة فهو مشغول به
فصل كمال الزهد هو الزهد في الزهد بان لا يعتد به ولا يراه منصبا
فان من ترك الدنيا وظن انه ترك شيأ فقد عظم الدنيا اذ الدنيا عند
ذوي البصائر لا شيء وصاحبها كمن منعه عن دار الملك كلب على بابه
فالقى اليه لقمة خبز وشغله بها ودخل دار الملك وجلس على سرير
الملك فالشيطان كلب على باب الله تعالى فالدنيا كلها اقل من لقمه بالاضافة
الى الملك اذ اللقمة لها نسبة الى الدنيا اذ تفنيها بامثالها والاخرة لا يتصور
ان تفنى بامثال الدنيا لأنها لا نهاية لها فصل الزهد باعتبار الباعث
عليه على درجات ثلاث احداها ان يكون باعثه الخوف من النار
وهذا زهد الخائفين والثانية وهي اعلى منه ان تكون باعثه
الرغبة في نعيم الاخرة وهو زهد الراجين والعبادة على الرجاء افضل
منها على الخوف لان الرجاء يقتضي المحبة الثالثة وهي اعلاها ان يكون
الباعث الترفع عن الالتفات الى ما سوى الحق تنزيها للنفس عنه
وهذا زهد العارفين وهو الزهد المحقق وما قبله معاملة اذ ينزل
صاحبه عن شيء عاجلا ليقتضي عنه اضعافه آجلا فصل الزهد
باعتبار ما فيه الزهد على درجات وكماله الزهد في كل ما سوى الله

تعالى

تعالى في الدنيا والاخرة ودونه الزهد في الدنيا خاصة دون الاخرة ثم يدخل
فيه كل ما فيه حظ وتمتع في الدنيا من مال وجاه ونعم ودون ذلك
ان يزهد في المال دون الجاه او في بعض الاشياء دون البعض وذلك
ضعيف لأن الجاه الذي واشهى من المال والزهد فيه اهم فصل حقيقة
الزهد ان تتزوى عن الدنيا طوعا مع القدرة عليها واما ان تتزوى الدنيا
عنك وانت راغب فيها فذلك فقر وليس بزهد ولكن للفقير ايضا فضل
على الغني لانه منع عن التمتع بالدنيا قهرا فهو افضل ممن مكن من
التمتع بها حتى الفها واطمأن اليها ولم يتجافى قلبه عنها فيعظم عليه
الالم والحسرة عند الموت وتكون الدنيا كانها جنته وتكون كانها سجن
الفقير اذ يشتهي الخلاص من آلامها والفقر من اسباب السعادة وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يحمي عبده عن الدنيا
وهو يحبه كما يحمي احدكم مريضه الطعام والشراب وقال يدخل فقراء
امتي الجنة قبل اغنيائها بخمسمائة عام وقال خير هذه الامة فقراؤها
وقال اذا رايت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين واذا رايت
الغنى مقبلا فقل ذنب عجلت عقوبته وقال موسى عليه السلام
يارب من احباؤك من خلقك حتى احبهم لاجلك فقال كل فقير وفقيرة
واعلم ان الفقير اذا كان قانعا بما اعطي غير شديد الحرص على الطلب
فدرجته قريب من درجة الزاهد وقال صلى الله عليه وسلم طوبى
لمن هدي الى الاسلام وكان عيشه كفافا وقنع به وقال صلى الله عليه
وسلم الفقراء الصبر جلساء الله تعالى وقال احب العباد الى الله تعالى
الفقير القانع واوحى الله تعالى الى اسماعيل عليه السلام اطلبني عند

Copyright © King Saud University

المكثرة قلوبهم من اجلي قال ومن هم قال الفقراء الصادقون وعلى الجملة انما يعظم ثواب الفقير عند القناعة والرضا والصبر على الفقر مبدا الزهد ولا تتم هذه المقامات الا بالصبر فلنذكر الاصل الرابع في الصبر قال الله تعالى واصبروا ان الله مع الصابرين وجمع للصابرين بين امور لم تجمعها لغيرهم فقال اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون وقال تعالى ولنجزين الذين صبروا اجرهم باحسن ما كانوا يعملون وقال تعالى وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا وقال تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وذكر الله تعالى الصبر في القرآن في نيف وسبعين موضعا وقال صلى الله عليه وسلم الصبر نصف الايمان وقال من اقل ما اوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن اعطي حظه منهما لم يبال ما فاته من قيام الليل وصيام النهار وقال الصبر كنز من كنوز الجنة وسئل صلى الله عليه وسلم مرة عن الايمان فقال هو الصبر وقال عيسى عليه السلام انكم لا تدركون ما تحبون الا بصبركم على ما تكرهون فصل حقيقة الصبر ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الهوى وهو من خاصية الادمي الذي هو المركب من شعب ملكية وبهيمية لان البهيمية لم يسلط عليها الا دواعي الشهوة والملكية لم تسلط عليها الشهوة بل جردوا للشوق الى مطالعة جمال الحضرة الربوبية والابتهاج بدرجة القرب منها فهم يسبحون بالليل والنهار لا يفترون فليس فيهم داعية الشهوة فلم يتصور الصبر للملك ولا للبهيمة بل الانسان سلط عليه جندان يتطاردان احدهما من حزب الله تعالى وملائكته وهو العقل

٧ الصابرون هم

والملائكة لم تسلط عليهم

؟ لو احتمله